إسهامات أنيس منصور في السيرة الذاتية

Contributions of Anis Mansour in Arabic Autobiography

Dr. Amin Ali
PhD Arabic, NUML
E-mail: alimudassir1984@gmail.com orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

Dr. Rana Aman Ullah
Assistant Prof. Department of Arabic – NUML
E-mail: raullah@numl.edu.pk Orcid: https://orcid.org/0000-0001-9700-0143

Abstract

The word biography tells of the method, and the preparation of the path. From ancient times, writers, scholars, and even travelers from the East and West dealt with their life or the life of another person with detailed translation and presented it with clarification and proof to the audience of readers with all sincerity. so that they reveal all its positive or negative aspects. Hence, two types of biography emerge for us. So the biographies are divided into two, self and other The altruistic biography is in which the writer or researcher presents the life of a celebrity, and sheds light on different aspects of his life. As for the autobiography, it is the one that a person tells about himself, and the main difference is the role of the narrator or writer. In the altruistic biography, the narrator or writer is a person who is not the owner of the biography, and in the biography he tells the narrator about himself.

Anis Mansour is an encyclopedic personality with different directions. He was one of the most famous journalists, writers, translators, diplomats, novelists, and travelers. When we see in addition to the contributions of Anis Mansour in this literary field, we find that he has attained a prestigious position and contributed prominently in writing the biography in quantity and quality. Among his writings are about twelve books that shed light on different aspects of his life, some of these books are huge until the number of their pages exceeds seven hundred. In this research, we will shed light on the different colors of his life in his five books of autobiography.

***Keywords**: Autobiography, Arabic literature, Anis Mansour, literary Genres, Egyptian.*

مقدمة

كلمة السيرة تنبئ عن الطريقة والسنة والمهيأ من الطريق، ومن القدم سار الأدباء والعلماء وحتى الرحالين من الشرق والغرب يتناولون حياتهم أو حياة شخص آخر بالترجمة المفصلة، ويقدمونها بالإيضاح والبرهان لجمهور القراء بكل صدق؛ حتى يكشفون كل جوانبها إيجابية كانت أو سلبية، محاسن كانت أو عيوباً، فيسردها على نمط الحياة العادية من البداية إلى النهاية، أو جزءاً مخصصاً مهتماً به، ومن هنا تبرز لنا نوعان للسيرة، فتتوزع السيرة إليهما، الذاتية، والغيرية، فالسيرة الغيرية هي التي قدم فيها الكاتب أو الباحث حياة أحد المشاهير، ويسلط الضوء على جوانب مختلفة من حياته، أما السيرة الذاتية فهي التي يرويها شخص بنفسه عن نفسه، والفارق

الأساسي هو دور الراوي أو الكاتب أو السارد، ففي السيرة الغيرية السارد أو الكاتب أو الراوي هو شخص غير صاحب السيرة، أما في السيرة الذاتية يسرد الرواي عن نفسه بنفسه.[1] وقد وقع الخلاف بين النقاد في تاريخ هذا الاتجاه في الأدب العربي، فبعضهم يقولون أن جذوره ترجع إلى أقدم العصور، ويذكرون له الشواهد والأمثلة من عصر قبل الإسلام، أما الآخرون فيقولون يجيئون بالأدلة والبراهين في نشأة هذا الاتجاه بعد العصور الجاهلية في الأدب العربي.

أنيس منصور شخصية موسوعية ذات اتجاهات مختلفة، كان من أشهر الصحفين، والكتّاب، والمترجمين، والدبلوماسيين، والروائيين، والرحالين. ولد في مصر بمحافظة الدقهلية في وسط العشرينات والثلاثينات للقرن الماضي العشرين، نشأ وترعرع في بيئة متوسطة الأحوال بين الإخوة والأخوات تتجاوز عددهم العشر، حفظ القرآن الكريم في العقد الأول من عمره حينما كان عمره سبع سنين، وتلقى العلوم من المدارس المختلفة، وقد انتقل مع أبيه من هنا إلى هناك. ثم التحق بجامعة القاهرة في قسم الفلسفة، وقد أسهم في أصناف عديدة من الأدب من أهمها السيرة الذاتية والغيرية، والرحلة، والصحافة، والترجمة. في هذا البحث سنسلط الضوء على أعماله حول السيرة الذاتية.

أدب السيرة لدى أنيس منصور:

عندما نرى إلى جانب الاسهامات أنيس منصور في هذا المجال الأدبي فنجده قد نال بمكانة مرموقة وأسهم بارزا في كتابة السيرة الذاتية كماً وكيفا، فمن بين كتاباته حوالي اثني عشر كتابا تلقي الضوء على جوانب مختلفة من حياته، بعض هذه الكتب ضخمة حتى يتجاوز عدد صفحاتها سبع مائة صفحة كماً، وفي ناحية الكيف فهي تحمل في طياتها الألوان المختلفة والأمور والمتنوعة تبرز لنا شخصية أنيس منصور في ألوانها وظلالها، ويكشف لنا أنيس منصور من خلال تلك الكتب عن الجوانب الذاتية عن نفسية أبيه وأمه وأخواته وأعماله وأصدقائه وأساتذته وأشخاص بارزة في مجال الأدب وكل مَن له تأثير في شخصية في الكم أو الكيف فكتب سيرته هي صور كاملة يصور لنا من خلالها مراحل التطور النفسي الروحاني التي مر بها في حياته منذ الطفولة حتى رصد أفكاره في عمره المتأخر، فنتأثر خلال الكتب السيرة لأنيس منصور مشاهدة الحب والخوف والاحترام والحيرة والشوق والفوضي والطمأنينة زاخرة في كتاباته، ثم هذه الكتب هي لا تصور دخائل الحياة الشخصية لأنيس منصور وبعض مظاهرها الخارجية فحسب؛ بل إنها

تقدم أيضا صورة حميمة المجتمع الذي عاش فيه، يصور الأوضاع السياسية والثقافية والدينية وغيرها.

فدراسة كتابات سيرته تطلعنا على شخصية أنيس منصور كما تطلعنا على مختلف مظاهر الحياة والمجتمع الذي عاش فيه وعمل فيه وبه، ففي هذه الدراسة سنلقي الضوء على الكتب التالية التي تتعلق بجوانب مختلفة من حياته:

- في صالون العقاد كانت لنا أيام.
- عاشوا في حياتي.
- البقية في حياتي.
- صندوقي الأسود.
- نحن أولاد الغجر.

أولا: في صالون العقاد كانت لنا أيام:

قد تأثر أنيس منصور بأستاذه (عباس محمود العقاد) كان علماً بارزاً بين أعلام الأدب العربي في عقد الستينيات في مصر، وكانت له جلسات في صالونه الذي كان ينعقد مساء كل جمعة، فاستمرت الحلقات حتى وفاته، هذا الكتاب يسلط الضوء على ما جرى في هذا الصالون الأدبي ويقدمه أمام القراء بكل صدق، هذا الكتاب لم يعد بين الأعمال الأدبية والفلسفية والتاريخية والدينية فقط؛ بل هو قصة جيل وعمر لشخصيات مختلفة مع العقاد وحكايات في بلدهم.

قد جمع فيه أنيس منصور كل ملامح الجيل الذي عاصره بأسلوب رائع وممتع وبلغة جذابة بكل حيوية؛ وحتى يكشف الغطاء عن عذاب الحياة وقلقها، حتى يبرز لنا ويصور ذلك الضياع الذي سيطر على شباب الستينيات في كل العالم، من ضياع الأفكار، والموقف من الدين، ومن الوجود والسياسة والانتماء والوطن، ومن أهمها فكرة التحرير والحرية. فملامح الضياع والقلق بدت مكشوفة في حرارة صراع واختلاف الآراء في الفترة التي جمع في صالون الأديب الكبير العقاد.

هذا الكتاب قد نال بمكانة مرموقة بين الأدب العربي في مجال السيرة، وقد قسمه أنيس منصور في فصول عبارة عن الحلقات الأسبوعية نشرها في مجلة (أكتوبر)، كان أنيس منصور تلميذا نجيبا من بين تلاميذ العقاد، قد أقر أنيس منصور أن العقاد على رأس الكتاب والشخصيات

الذين تأثر بهم، وقد ذكر في هذا الكتاب شخصية العقاد وشخصيات أخرى معه من أعلام الأدب العربي. قد ذكر أن أستاذه العقاد هو العملاق والمثل الأعلى في تلك الفترة لكثير من الشباب الذين يريدون الهدف المرموق والطريق إلى النجاح، ربما هذا مما يتفقده شباب اليوم، المشتغل بالأدب والمشتغل بأهدافه الشخصية معا، لهم وجود العقاد وآراءه أنوارا ومشاعيل الباهرة تضيئ طريق الحياة حتى تترك للشباب والجيل القادم حرية الخيار.

كان أنيس منصور معجباً بالعقاد، وسجل إعجابه وافتنانه على نحو مؤثر حيث يسطر: "أعجبني في العقاد هذا الصفاء العقلي، وهذا الرواء الفني، وهذا الشموخ الهندسي في مقالاته، كنت طالباً صغيراً لا أشتري مجلة (الرسالة) إلا إذا كانت للعقاد مقالة فيها، وفي مثل سني كنت أريد أبا عقلياً ووجدته، وكانت لي أفكاراً صغيرةً غامضة، وكان العقاد هو المصباح الذي هداني."[2] فكان العقاد عنيفاً عصبياً فلسفياً منطقياً يصعب المناقشة والاختلاف معه في شيء ما أو في موضوع ما.

ويقر أنيس متصور بأن العقاد يصدمه أيضاً، لأنه كان يدين بفلسفة غير التي يدين بها أنيس منصور، فأنيس منصور حسب قوله كان صاحب القلب والعقاد كان صاحب العقل، فأنيس منصور ينتقل والعقاد كان يتقدم، فينبهر أنيس ويضيء العقاد، فأنيس كان يتغني والعقاد كان يخطب حيث يقر بهذه الظاهرة.[3]

وكان العقاد صدمة فكرية للشباب القادم إلى صالونه في آرائه وأفكاره التي تخالف السائد والمألوف، كان شكسبير عنده هو أعظم المواهب في التاريخ، وأما الشاعر الألماني (جونه) رجل عظيم في رأيه، ولكنه ليس إنساناً عظيماً، وأما المفكرون المصريون فكان يحكم عليهم بتطرف وقسوة، فمثلاً عبد الرحمن البدوي جاهل، ولويس عوض أجهل منه، وطه حسين عمي الأدب وليس عميد الأدب، وكذلك يهاجم الشيوعية والنازية والوجودية أيضا ولا يرى خلافاً بينها. والشخصيات الفنية والأدبية والسياسية في معرض تعليقات جارحة لديه.[4]

وحتى له آراء وأفكار في الكون وصنعته كما ينقل أنيس منصور عنه: "وكان الأستاذ العقاد يزلزل وجودنا عندما يغضب من الدنيا فيقول: ما هذا الكون؟ ما هذه الدنيا؟ أعطني المادة الأولية لهذا الكون وأنا سوف أصنع لك واحداً أفضل منه! وكنا نتصور أن السقف سوف يقع فوق رؤوسنا أو ينهدم الكون لمثل هذه العبارة التي التقى فيها الغرور والغطرسة وعقدة العجز وضلال الغضب، من الذي يعطي الأستاذ –هكذا ما يلقبون العقاد– هذه المادة الأولية؟ طينة الكون أو

عجينة الكائنات!! إن الذي لا يجد المادة الأولية التي يصنع منها الكون لعاجز تماماً أن يفعل شيئا، وقد خفت حدة هذه العبارة عند الأستاذ يوما بعد يوم."[5]

كان أنيس منصور مثأثرا جدا بالعقاد ويقول بأنه: أعجبني في العقاد هذا الصفاء العقلي، وهذا الرواء الفني، وهذا الشموخ الهندسي في مقالاته، كنت طالباً صغيرا لا أشتري مجلة الرسالة إلا إذا كان للعقاد مقالة فيها.. وفي مثل سني كنت أريد أباً عقلياً ووجدته، وكانت لي أفكاراً صغيرةً غامضةً، وكان العقاد هو المصباح الذي هداني.

وكان العقاد يعتز بالفكر، ويروي أن المفكر هو أعظم مخلوقات الله، وأن الله قد أعطاه الموهبة أو الصفة التي رفعته عن الحيوان وعن الإنسان، ولذلك يجب أن يرفع رأسه وأن يرتفع. وكان العقاد عالياً، وعملاقاً. وكان الشخص الذي يزور العقاد يشعر أنه قد أضيف إليه بضعة أمتار عن سطح الأرض.[6]

أما في بداية كتابه في الصفحات الأولى تناول أنيس منصور بيان جوانب عهد طفولته، ونفس الموضوع قد تكرر ذكره في كل كتاب تقريبا يتعلق بالسيرة الذاتية إلا أن هذا الكتاب وثيقة تاريخية لجيله الشباب أحلامه وهمومه وتموهاته وضيائه وحيرته. هذا الكتاب هو السيرة الذاتية لأنيس منصور الضخمة رغم ذلك قد دقق النظر في حياة العقاد وأفكاره وآرائه حتى نجد فيه لون السيرة الغيرية أيضا حيث ذكر فيه عشيقة العقاد (مي زيادة) وعلاقة العقاد مع الأدباء منهم توفيق الحكيم، وطه حسين، وحتى الأطفال والنساء والأجانب.

فالعقاد كان له أثر كبير على أنيس منصور وعلى أفكاره فكان العقاد بمثابة الأب له، وينظر لك في قوله حيث يقول: عرفت من زوجتي فيما بعد أنني كنت أصحو من النوم فزعاً، وأجلس مرتجفاً وأن ذلك حدث لي أكثر من مرة قبل وفاة الأستاذ وكثيرا بعد وفاته.. وأنه حدث مرة واحدة أن نزلت من البيت في أحد أيام الجمعة.. واتجهت إلى مصر الجديدة مسرعاً إلى بيت الأستاذ، وقبل أن أدق الباب بيدي، تنبهت إلى أن الأستاذ قد مات منذ ثلاثة شهور!

ولم أعد أقرأ صفحات (الوفيات) فقد مات أبي ومات الأستاذ العقاد..![7]

ثانيا: عاشوا في حياتي:

هذا الكتاب للاستاذ أنيس منصور من سيره الذاتية الشهيرة التي تتعلق بالمراحل المتقدمة من حياته، لكنه كي يجعل الكلام منطقياً فيتناول في الصفحات المائة الأولى طفولته، فيذكر في هذا الصدد الأحداث والتأثيرات والمكونات الأساسية التي مرّ بها في هذه المرحلة المبتكرة، وهو

نفس الكلام الذي عكف على تفصيله في كتبه الأخرى الخاصة بالطفولة. وذلك يتمثل في حياته مع أبويه وحفظ القرآن الكريم في عمر مبكر، وحفظ الأشعار والمواويل والحياة المدرسية والعلاقات والزملاء والأطفال والكتب التي درسها والأساتذة الذين تأثر بهم وغير ذلك.

هذا الكتاب هو من أضحم كتبه التي تحتوي حوالي سبعمائة صفحة، فأساسا يذكر فيه شخصيات التي عاصرها وتأثر بها في حياته، في مقدمة الكتاب يسلط الضوء على الشخصيات العديدة من الشرق والغرب، ومع ذلك يركز فيها على الاشياء والأمور التي ساعدت على تكوين العلمي والفلسفي والأدبي؛ فهو يتحدث عن الأديب الفيلسوف (جيته) بأنه سئل عن العناصر المؤثرة في ذاته وشخصيته، فكانت إجابته: "كما أن أحد لا يعرف نوعية الطعام زالشراب الذي يجعل أظافرك ويعينك لامعة؛ فإن أحد لا يعرف بالضبط ما الذي أثر فيك أدبياً وفلسفياً."[8]، فكذلك من حق القول والصعوبة البارزة جدا أن تعرف ما الذي أثر في تكوين شخصية أنيس منصور؛ فهو من حيث التكوين النفسي يعترف بأنه شخص بلا تموح.

الفصول الأولى من الكتاب يتحدث فيها عن طفولته بمدينة المنصور في قرية صغيرة تابعة لها، وعن تفوقه اللافت للنظر في المدرسة؛ حتى أن مدرسيه لم يكونوا متأكدين من هذه النباهة، وقد اعتبروا غشاشا، والحق أنه كان متفوقاً في كل مرحل سنوات دراسية، وكان ترتيبه الأول في الشهادة الثانوية، وقد أبلغ الخبر لوالده قبل أن يموت بلحظات. تشعر عندما تقرأه بأنه كان حائراً، وأن هناك العديد من المواقف الحياتية لا يفهمها على حقيقتها؛ فهو مثلاً يروي في مرحلة متأخرة من الكتاب أنه في المرحلة الثانوية لم يفهم معنى الحب، أو مشكلاته، وما معنى أن يذهب أحدهم لخِطبة فتاة ما.[9]

ومع ذلك ستجد أنه حلل نفسية المرأة بشكل عميق أحيانا، وغير كاف أحياناً أخرى؛ خاصة في حديثه عن شخصيات شهيرة جدا؛ مثل: أم كلثوم، وشجرة الدر، ومارلين منرو، وغيرهن، فكان شهيرا بجمل قصيرة البارعة التي تصلح لأن تدرس بمفردها، بغض النظر عن كونها تقترب من الحقيقة أم لا؟ فهو فيلسوف، والفلاسفة يرون الحياة من منظار مختلف عن سائر الناس. لكن المنطقة الجذابة بحق الكتاب، أو أكثر جاذبية بالنسبة غلى غيرها، هي علاقاته بثلاثي عصره في الأدب العربي أو المصري على الإطلاق، الدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم، والأستاذ عباس محمود العقاد، وما يميز كل واحد عن الآخر، وكما أنه تحدث عن أمزجتهم، وكتبهم، وآرائهم وأفكارهم، واللحظات الأخيرة في حياتهم أيضاَ.

أثنار القراءة لهذه الرائعة سنجد فيه الكثير والكثير جداً من الذكريات، والأفكار، والتحليلات الفلسفية العميقة والطريفة، وقصص الأدباء والفنانين والمفكرين والفلاسفة وحكاياتهم، وهذا كله من موسوعة واحدة المسمية بـ (أنيس منصور)؛ حيث ينظر الحياة بمنظاره غير المنظار الآخرين وبوجهة النظر المختلفة كلياً أو جزئياً عن غيره، ومهما اختلفنا أو اتفقنا معه، فإننا سنكمل رؤية ما رآه؛ لأننا نستمع إليه ونفهمه جيداً، وهو ما أحسب أن الأستاذ الأديب الأريب قد نجح في خطته وتحقيق ما معناه الحياة، ففي هذه الرائعة يسلط الضوء على الأدباء والفنانين والفلاسفة منهم: شجرة الدر،[10] وأم كلثوم،[11]، وتوفيق الحكيم،[12] وطه حسين،[13] وألبرتو مورافيا،[14] وريلك ويلك،[15] وغير ذلك من الفنانين والأدباء من المعاصرين والقدماء.

ثالثا: البقية في حياتي:

هذا الكتاب من أشهر السيرة الذاتية لأنيس منصور، يناقش فيه أنيس منصور بشيء من التفصيل مراحل الطفولة والمراهقة بدقة وعمق، فهذا الكتاب هو من أصدق صور لفهم حياة الأستاذ الكبير أنيس منصور وأدبه، فهو في رائعته هذه يتحدث لنا عن حياته، وعن علاقته بأمه، عن والده وعمله، ويروي فيه ذكريات طفولته، اثناء القراءة نبه القارئ إلى أنه قد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ صغره ومنذ أيام طفولته المبكرة حيث أنه أدمن القراءة في سن صغيرة جداً، وكان يلتهم الكتب من مكتبة والده بعيداً عن مستواه الدراسي، الأمر الذي جعله يلفت الأنظار منذ صغره وجعل الجميع يتوقع له مستقبلاً باهراً.

من بعض ملامح شخصية الأستاذ أنيس التي نراها في رائعته هذه هي كونه سرحاناً، وقد تحدث بنفسه عن هذا الجانب بالعبارة التي تعتبر عن السخرية والفكاهة الكامنتين في شخصيته حيث يسطر: "ولكن تعودت لا أدري ممن تعلمته.. فلا أمي تفعل ذلك ولا أبي؛ ولكن اعتدت أن أسند ظهري إلى الحائط وأفرج على الناس من بعيد.. وأقول لنفسي هذا أطول من فلان وهذا أقصر من فلان، وهذا أقصر وهذا أصغر.. وهذا أكبر.. وهذا له عينان واحدة أضيق من الأخرى.. وله كتفان واحدة أكثر انخفاضاً.. وهذه الديوك وهذه الأرانب.. والأبقار والجواميس.. ولاحظت أن بعض الناس لهم ملامح الحيوان والطيور.. وأن العشرة تجعل الكائنات تشابه في سلوكها..وكنت أعتقد مقارنات بين الحيوان وصاحبه.. وبين الرجل وزوجته.. وكنت أتساءل بيني وبين نفسي إن كان فلان قريباً لفلان لمجرد التشابه في الفم أو الجبهة.. أو الميل أثناء المشي.. وكانت بعض ملاحظاتي صحيحة.. وانفتحت أمامي دنيا أخرى واسعة متنوعة وهي: الناس."[16]

وكذلك منذ الطفولة جعل أنيس منصور لنفسه الأصدقاء من ديانات وبيئات مختلفة وكان لهم أثر عميق في تكوين شخصيته، وقد اشار إلى هذا الجانب في كتبه الأخرى أيضاً، مثل: طلع البدر علينا، وكان هذا الحتكاك مثار أسئلة كثيرة لعقله الناشئ. في جانب آخر يبدو أن أنيس منصور منطوياً على ذاته منسجاً إليها فهو في اصدقائه لا يستطيع أن يتوغل في علاقة حميمة.(17)

كلمة الخوف لها ظل عميق في حياة أنيس منصور، حتى نجد تكرارها في كتبه المختلفة من السيرة والرحلات كذلك، بحكم حياته التي كان مجبراً أن يعيشها منتقلاً في القرى والأرياف جرب الخوف عن قرب. وقد تحدث عن الخوف من المرض والموت وكذا من المجهول في كل مكان تحدث فيهم عن أيام طفولته. يسطر في مكان عندما يصور أحاسيسه: "ونهض من النوم خائفاً حتى من سؤالها عن الذي حدث بالأمس ويتكرر كل ليلة.. وأسمع عن قصص اللصوص في الليل.. عن المجرمين.. عن الذئاب التي خطفت الأطفال.. عن الذئبة الأنثى التي جاءت تنتقم من رجل قتل زوجها.. عن العفاريت التي تقلد الناس في ملابسهم وأصواتهم وتخطف الأطفال..." (18)

فمن الأقرباء والقريبات الذين إخترنت ذاكرة الأستاذ أنيس منصور ملامحهم وتحدث عنهم بحب عميق هي خالته التي يحبها وتحبه كثيراً، حتى لا يترك ظاهرة صغيرة ولا كبيرة إلا ذكر عنها. وكذلك نجده يذكر في رائعته هذه عن الجيران والجارات وهذا الحديث عن كل هؤلاء يخبرنا عن النمو العاطفي النفساني الخاص بالمراهقة للأستاذ أنيس، فيوصفهم بدقة وصدق، ويحلل أخلاقهم بكل القوة، فقراءة الشخصيات والنفوس تبدو في نظرة عميقة ومتشبعة.

كان أنيس منصور يحب أخته غير الشقيقة حباً شديداً، وقد ردد اسم هذه الأخت والمشاعر والأخيلة التي كانت تتولد في ذهنه الناشئ، وكان يتمنى أن يقضي معها أياماً عديدة ولكن لم ينل، ويبدو من الأحاديث أن أمه تزوجت مرتين فكانت أخته من الزواج الأول لأمه. وكذلك يذكر إخوته كثيراً من رغم يبدو من القراءة لسيرته الذاتية أنه قد قضى أيام طفولته بعيداً عنهم، ولا يمكننا أن نتعرف على ملامح واضحة عنهم، وما يذكره جاء مغلقاً في أسللوب القصص والحكايات والذكريات المتقطعة، فلا نتعرف جيداً أكان هؤلاء الإخوة من أبيه وأكبر كثيراً منهم وكانت أم أنيس منصور يبعدهم، فالعلاقة تبدو جافة وغير طبيعية ولا ريب أن هذا الوضع أدّى إلى الطبيعة المنطوقة التي لصقت به.

رابعا: صندوقي الأسود:

هذا الكتاب فقد ظهر في عمره الأخير ولذا يحمل قيمة عالية من هذه الناحية، فهو من بين أهم الكتب المتعلقة بسيرته الذاتية، وهو في رائعته هذه يردد نفس الكلام ولو بأسلوب آخر الذي طالما ردده في كتبه الأخرى، نعم نجد بعض الموضوعات الجديدة ولكن الكتاب على الأكثر ذكريات قد ذكرها منها في كتبه الأخرى، فيبدو لنا من ذكرياته الماضية ذكريات الطفولة، وذكريات الأم والاب والخالة والجدة، والكُتاب والأصدقاء والزملاء والأخوان والجامعة وحفظ القرآن الكريم والصراع بين إرساله إلى الأزهر أو غير الأزهر تتابه وتلح عليه وتذكره بأنه قد سجلها غير مرة.

تكشف رائعته هذه مجموعة من الأسرار، والحكايات عن حياة وإبداعات ومحطات أنيس منصور، ويوضح عن اسم هذا الكتاب أنه كما في كل طائرة هناك صندوق أسود لتسجيل ما يدور بين طاقم الطائرة وبينهم وبين المطار أو الطائرات المجاورة، فإن كل واحد له صندوق يسجل ما كان وما هو كائن وليس ما يكون، يبدو لنا خلال قراءة هذا الكتاب الأسرار عن أسرته، ويبدأ رحلته الأخيرة من طريقه غلى المدرسة فيلاحظ أن رفاقه يتحدثون ما حدث لهم، أما هو فلا يشارك في أي حديث، ويبين أنه في الفصل جعل من المدرسون تلميذاً مختلفاً، وحاولوا أن يجعلوا بقية التلاميذ مثله، ولكنهم لم يفلحوا في أزمتهم هذه، هذا ما جعله وحده في ناحية دائماً مع كتب وكراسة في الفصل أو الفسحة، أما بقية الطلاب في ناحية أخرى، يجيء ترتيبه الأول في كل سنوات دراسية حتى يحس أنه أصبح عدواً للطلبة.[19]

وقد اطلعنا أثناء قراءة هذا الكتاب على كيفية بداية صراع عائلي حول مستقبله، فأبوه وشيخ الجامعة يريان أن حافظ القرآن مكانه الطبيعي في الأزهر الشريف، ولكن أمه تقرر أن لا يكمل دراسته بالأزهر الشريف، فهو لا بد أن يكون طبيباً أو مهندساً مثل الكثيرين من أقاربها. وفي النهاية ينتصر رأي الأم التي تعرف القراءة الكتابة، لكنها تعرف كبف تنظر في الواقع وتحدد المستقبل.[20]

ويشير أنيس منصور إلى أنه حاول عدة مرات، أن يتحرر من مؤثرات طفولته وميسم أمه، فكتب جانباً من مذكراته ونشره، ثم كتب ثانية وأحرق، كما أنه يتحدث عن طفولنه، ويؤكد لنا أنيس منصور أنه ورغم دراسته الفلسفة، وكونه قرأ وتأمل، ولكنه قرأ وتأمل، ولكنه في أعماق كان يرى أن ما تقوله أمه أقوى من اليقين، أما أبوه فلم يكن معهم طوال الوقت، فكان غيابه نوعاً من الموت فلما اقترب منهم نهائياً مات وانتقل إلى رحمة الله χ، لذا أصبح يعوض لقاءات ابيه بعد وفاته، بأن يحلم به يكلمه ويحاوره ويناقشه.

وفي نهاية هذا الكتاب يلخص لنا الأستاذ الكبير كل علاقته بأمه، حيث يسطر: "ماتت أمي وكان موتها معنى لحياة أخرى، هي حياتي، فالموت شخصي لأنني أنا بعض الذي يموت.. الموت ليس نهاية، ماتت أمي.. كانت كل حياتي ولم اترك أحداً يعيش لي أو يموت بي أو من أجلي."[21]

وتبدو التفاصيل متشبعة وموسعة في الكتاب، يصف فيها أنيس منصور، جملة حكايات وأحداث في حياته، وتتبدى السمة الابرز في هذه الفصول ضمن الكتاب، أنها غير منظمة أو مرتبة، بل إن الفقرات في الفصل الواحد تظهر أحياناً غير متتابعة، والفقرة ربما نجدها غير مفهومة، تعطي الغيحاء بأنه ينقصها كلمة من هنا أو هناك.

خامسا: نحن أولاد الغجر:

هذا الكتاب يتضمن مئتين وخمسين صفحة، وهو في الأصل مجموعة مقالات نشرت في الصحف والمجلات وصحيفة الإهرام وجريد الشرق الأوسط وغيرها، فتلك المقالات تعتمد على الحياة الغجرية وعلى سيرته الذاتية. في هذا الكتاب تحدث لنا أنيس منصور عن بعض العادات الغجرية وبوجه خاص عادة سرقة لديهم في موضع عديدة فيسطر عن هذه العادة قائلاً: "وللغجر حكايات وخرافات –كما لكل الشعوب– والغجر لا يريدون على تهمة السرقة بأنه هذا ظلم لديهم. بل يقولون: هي حق مقدس. فيوم طلب السيد المسيح سرقوا مسماراً كان الرومان قد دقوه في ساقه الطاهرة وقد سرقوه لأنهم أرادوا أن يخففوا عنه بعض الألك: ولو اتسع وقتهم لسرقوا كل المسامير. فلما رآهم السيد المسيح قال لهم: ذنوبكم كلها مغفورة. اسرقوا ما شئتم!.. ومن يومها وهم يسرقون. فهم لصوص شرفاء!!... وفي تاريخ الغجر لصوص نبلاء.. أو لصوص بأمر المسيح أن يسرقوا.."[22]

تبدأ علاقة أنيس منصور بالغجر منذ الطفولة عندما كان يشاهدهم في ضواحي قريته، منذ ذلك الحين لم تمح ذكرياته، قد حكى حكاياتهم وقصصهم تارة بالإيجاز وتارة بالإطناب التي مرت في عصر الطفولة معهم، وذكر لنا كيفية تشويق لقاضاء الساعات مع أولاد الغجر في خيامهم، وتراوده في ذلك الأحلام، فهو يتمني أن يعيش مع الغجر ويسافر معهم إلى ألمانيا وفرنسا والهند ويقضي عمره راحلاً منتقلاً.. إنه يريد أن تكةن له عائلة من الغجر، أن يتزوج (زؤية) الطفلة الغجرية.. وتكون له خيمة ويكون هو كبير العائلة ويكون هو الطبيب والعمدة.[23]

يرى أنيس منصور أن الكتّاب والأدباء والفنانين والفلاسفة والعقلاء والمفكرين ومن شابههم وحذا حذوهم يتصف بسمات الغجر خاصة في بعدهم عن مألوفات مجتمعهم وانزوائهم وانقطاعهم إلى عالمهم النفسي الخيالي العقلي الخاص؛ بل يجد أنهم لم يختاروا هذه العزلة بأنفسهم، إن المجتمع هو الذي ملهم وعافهم ونبذهم. فهو يكتب متحدثاً عما يجمع بينه وبين طبقة الغجر: "إننا نحن أولاد الغجر.. وإنني عشت طفولة غجرية خائفة ولا ذنب لي في ذلك، مرتعدة ولا يد لي في ذلك.. ولكن شاءت الظروف أن أعيش في خيمتي الخوف، وفي مهب القلق طول عمري فلما ماتت ملكة الغجر، أحسست أنني واحد من رعاياهم."(24)

ويقول في مطلع رائعته عن الطبيعة الغجرية المتأصلة في الفنانين والعقلاء: "وجدت معظم المشتغلين بالفلسفة والفن والرهبان.. يمارسون هذه الوحدة والعزلة الروحية واعتزل الناس من أجل فهم الناس.. فليس الغجر هم الذين زرعوا الوحدة وبذروا العزلة في عقلي.. ولكنهم هم الذين كشفوا عن الرغبة الدفينة.."(25)

ويروي لنا أن هذه العزلة التي قضاها الغجر لازمة في بعض الأحيان للوصول إلى معاني أعمق وأوسع للكون والحياة فيسطر رأيه: "ووجدت كل حركات الغضب والسخط في التاريخ لأناس كأنهم غجر.. لأناس ابتعدوا ليروا أوضح ويسمعوا أعمق.. ثم عادوا يقولون.. ويقولون ثم يعودون إلى العزلة والوقوف على الهامش.. على الحدود الفاصلة بين الـ (أنا) وبين الـ (هم) وبين الـ (نحن)... وبين (الأنا) وبين (الغير)."(26)

وكذلك يسطر رأيه: "وليس حياتنا الفلسفية إلا حقد على الغجر.. ومجاراة لهم.. صحيح نحن المفكرين غجر بعض الوقت، فلا طاقة لنا بأن نكون شراذم مشردة ملعونة في كل أرض ولسبب ولغير سبب. ولكن في أعماق كل فنان واحد غجري يهمل في شعره وملابسه وحذائه وأظافره وفي الذي يقول ويتهجم على المجتمع لأنه مستعمر مستبد.."(27)

فأنيس منصور كان متأثراً جداً بطبقة الغجر، وهذا التأثر بدأ في الطفولة ولازمة حتى آخر أنفاسه. قد رأى نفسه مثل هذه الطبقة وحيداً طريداً مغترباً لا منتمياً، كما رأى أن العقلاء والمفكرين والفلاسفة يشبهون هذه الطبقة يصور شتى، في كتاباته المختلفة وخاصة ما يتعلق بسيرته الذاتية، وهذا يدل على شيء وهو على شدة تعلقه بهذه الطبقة ورؤية نفسه في مراياها.

خلاصة البحث:

عندما ندرس شخصية أنيس منصور من ناحية إسهاماته في مجال السيرة الذاتية، نجده قد أسهم في هذا المجال إسهاماً غزيراً مهموساً، فهناك حوالي اثني عشر كتاباً ما يتعلق بمختلف جوانب ذاته وشخصيته، بعض هذه الكتب ضخمة جدا تتجاوز صفحاتها سبع مائة صفحة ك (في صالون العقاد كانت لنا أيام) و(عاشوا في حياتي).

أما من ميزات كتب السيرة الذاتية للأستاذ الكبير والأديب الأريب أنيس منصور، فهي تحمل في طياتها الألوان المختلفة المتنوعة، فهي في ذاتها تعبر عن الحياة المتسمة في طبيعتها بالتنوع والتلون، فهذه الكتب بالمجموعة تعرض أمامنا صور مختلفة ومتنوعة لحياة الأستاذ أنيس منصور في مختلف الألوان والظلال. الحياة الرواحية الداخلية التي مستورة من أنظار المشاهدين والحياة الخارجية التي يلمسها المشاهدون بسهولة. فبينما أنيس منصور من خلال كتبه يكشف عن الجوانب الذاتية عن نفسية أبيه وأمه وإخوته وأخواته وأعمامه وأخواله وجيرانه وأصدقائه وأساتذته، وكل من كان له تأثير في شخصيته. يشعر القارئ خلال قراءة كتبه للسيرة الذاتية بالحلاوة والطراوة، ويظل يتجول في أمكنة مختلفة مع الكاتب حذواً بحذوٍ، أما جانب اللغة لكتبه السيرة كانت مزدانة بسهولة وانسياب بقدر ما لم يشعر القارئ بأي نوع من التعب والاكتئاب حينما يتغلغلها؛ بل يصبح غارقاً في قلب أوراق الكتب ولم يمسك منها يده ولم تقف نفسه من قراءته حتى يصل إلى النهاية.

(References)

(1) عبد اللطيف الحريري، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي، ص: 67، مكتبة الملك فهد الوطنية – مملكة السعودية العربية، ط: 1، 1996 م.

وانظر: تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي – فدوى طوقان وجبرا إبراهيم وإحسان عباس نموذجاً، ص: 9، دار الأدب للنشر والتوزيع- بيروت، ط: 1، 2002 م.

ʿAbdu Al-Laṭīf Al-Ḥarīrī: Fanu Al-Sīrah Baīn Al-Ḏātīah Wālġaīrīah Fī Ḍaūʾi Al-Naqdi Al-ʾadabī, P. 67.

Tahānī, ʿAbdu Al-Fatāḥ Šākir, Al-Sīrah Al-Ḏātīah Fī Al-ʾādab Al-ʿārabī – Fadwā Ṭūqān Wa Ǧbrā Ibrāhīm Wa Iḥsān ʿAbbās Namūḏaǧān, P. 9.

(2) أنيس منصور، في صالون العقاد كانت لنا أيام، ص: 7، دار الشروق العربية- القاهرة، ط: 1، 1983 م.

Anīs Manṣūr: Fī Ṣālūne Al-ʿAqād Kānat Lanā Āīām, P. 7.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Ibid, P. 7.

(4) المرجع نفسه، ص: 30 – 35.

Ibid, P. 30 - 35.

(5) المرجع نفسه، ص: 21 – 22.

Ibid, P. 21 - 22.

(6) المرجع نفسه، ص: 587.

Ibid, P. 587.

(7) المرجع نفسه، ص: 648.

Ibid, P. 648.

(8) أنيس منصور، عاشوا في حياتي، ص: 14، المصرية العامة للكتاب – القاهرة، د.ت.

Anīs Manṣūr: Āšuwā Fī Ḥaīātī, P. 14.

(9) المرجع نفسه، ص: 343.

Ibid, P. 343.

(10) المرجع نفسه، ص: 160 – 165.

Ibid, P. 160 -165.

(11) المرجع نفسه، ص: 150 – 158.

Ibid, P. 150 - 158.

(12) المرجع نفسه، ص: 387 – 406.

Ibid, P. 387 - 406.

(13) المرجع نفسه، ص: 364 – 368، وص: 495 – 504.

Ibid, P. 364 – 367 & 495 - 504.

(14) نفس المرجع، ص: 465 – 471.

Ibid, P. 465 - 471.

(15) المرجع نفسه، ص: 560 – 566.

Ibid, P. 560 - 566.

(16) أنيس منصور، البقية في حياتي –لوحات تذكارية على جدران الطفولة، ص: 73، دار الشروق – القاهرة، ط: 1، 1991 م.

Anīs Manṣūr: Al-Baqīaẗu Fī Ḥaīātī –Laūḥāt Tiḏkārīah ʿalā Ǧudrāni Al-Ṭufūlah, P. 73.

(17) المرجع نفسه، ص: 156.

Ibid, P. 156.

(18) المرجع نفسه، ص: 14.

Ibid, P. 14.

(19) أنيس منصور، صندوقي الأسود، ص: 8، أخبار اليوم – القاهرة، ط: 1، 2011 م.

Anīs Manṣūr: Ṣundūqī Al-ʾāswad, P. 8.

(20) المرجع نفسه، ص: 53.

Ibid, P. 53.

(21) المرجع نفسه، ص: 170.

Ibid, P. 170.

(22) أنيس منصور، نحن أولاد الغجر، ص: 10 – 11، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: 1، 2006.

Anīs Manṣūr: Naḥnu Āūlādu Al-Ġaǧar, P. 10 – 11.

(23) المرجع نفسه، ص: 37.

Ibid, P. 37.

(24) المرجع نفسه، ص: 232.

Ibid, P. 232.

(25) المرجع نفسه، ص: 7.

Ibid, P. 7.

(26) المرجع نفسه، ص: 9.

Ibid, P. 9.

(27) المرجع نفسه، ص: 10.

Ibid, P. 10.